والحرية .

ومن اهم معاركه الادبية تلك المعركة الشهيرة بينه وبين احمد شوقي . فقد كان العقاد مع شكري والمازني يؤلفون جيل الطليعة في النقد الادبي الحديث الذي يعتمد على المدرسة العقلية في تصور البناء الشعري ومحاربة الصناعة اللفظية التي تحد من قدرة الشاعر على الانطلاق وفق سجيته وموهبته. ولعل اهم كتبه في نقد الشعر هو كتابه « ابن الرومي » ، الذي سار فيه وفق المنهج النفسي في تحليل الادب للكشف عن شخصية الفنان المبدع . وآخر كتبه هو ما اصدرته له المكتبة الثقافية عن جائزة نوبل .

والعقاد كان عضواً بالمجمع اللغوي والمجلس الأعلى للآداب والفنون ، ورئيساً لجنة الشعر بالمجلس ، وواحداً من اهم كتاب يوميات جريدة « الأخبار » . ويميل اغلب الباحثين الى اعتباره من اقطاب اليمين الفكري في الوطن العربي بالرغم من تاريخه وماضيه الطويل في محاربة الاستعمار والملكية . وفي الجامعات المصرية الآن حوالي سبع رسائل علمية تدور حول مكانة العقاد في الشعر والنقد . ومعظم هذه الرسائل كتبها تلاميذه ومريدوه ممن كان يجتمع بهم في ندوته الاسبوعية . فقد كان العقاد بالرغم من الثلاثة ارباع القرن التي يحملها على كاهله ، نشيطاً الى حد كبير . وتضم مكتبته عدداً ضخماً من الكتب ، كان احدثها كتاباً انكليزياً عن داروين، ربما كان آخر ما قرأه الفقيد العظيم .

امريكا : من روبي مكولي

لعل ابرز حدث تميز به المشهد الادبي في امريكا خلال الاشهر الاخيرة كان التكريم الذي حظي به رجل من اهم نقاد البلاد وشعرائها .

هذا الرجل هو جون كرو رانسوم ، الذي بلغ في هذا العام الخامسة والسبعين من العمر ، وبلغت مجلته الادبية (التي اتولى انا الآن رئاسة تحريرها) عددها المائة . وقد احتل رانسوم ، كشاعر وناقد ادبي ورئيس تحرير لمجلة « ذي كنيون ريفيو » ، مقاماً مهماً في حقل الادب الامريكي طوال الثلاثين سنة المنصرمة . وهو واحد من آخر من تبقى على قيد الحياة من افراد ذلك الجيل الرائع من شعراء امريكا ، الذي ضم فيمن ضم روبرت فروست و ت. س. اليوت و ازرا باوند و وليم كارلوس وليمز و أ. أ. كمنغز . وها هو قد بلغ الآن السن التي تضفر فيها الاكاليل حول رأسه وتسمى النصب فيها باسمه . فقد اطلق اسمه على احدى مباني كلية كنيون، وأقام عدد من ابرز كتاب البلاد مأدبة عشاء على شرفه في نيويورك ،وعقدت مجلتا «نيوز ويك» و«تايم» الامريكيتان و «الملحق الادبي للتايمز» الانكليزية مقالات مستفيضة تدور حوله ، وكرست له مجلة « ذي كنيون ريفيو » عدداً تذكارياً خاصاً ، ومنح « جائزة الكتاب القومية » في الشعر تقديراً لاسهامه في حقل الشعر الامريكي .

كل هذه التكريمات تبعث في رانسوم بعضاً من الضيق والحرج — اذ انه من اكثر خلق الله تواضعاً. وقد ولد في جنوبي البلاد ، وراح يمثل في الحياة الامريكية منحى تقليدياً آخذاً في الزوال : ذلك المنحى هو تراث « الجنتلمان الجنوبي » ، بما ينطوي عليه هذا التراث من ثقافة وانسانية ودماثة وأنس بالغير . هذا هو الانطباع الذي يأخذه عنه من يعرفونه شخصياً ، وهذا هو ما يتسم به شعره ايضاً. لكن وراء هذا الوتر في شعره معاني اخرى اشد صلابة ونفاذاً . فهو ، خلف شعره الذي كثيراً ما يبدو انه شعر يقوم على الظرافة والدعابة والملاحة الذكية ، هو في الواقع شاعر عن الموت والفناء .

من قصائد رانسوم التي حظيت بكثير من الشهرة والذيوع قصيدته « كابتن كاربنتر » . وهي عن محارب ما ، تشبه شخصيته شخصية دون كيشوت ، وهو لا يني ينطلق مفتشاً عن معارك في هذا العالم يدخلها ويشارك فيها . ويكيل له العالم على الدوام هزيمة نكراء بعد اخرى — ولو انه يبدو انه لا يحس بذلك مطلقاً . ويلقى ذات يوم سيدة حسناء ، تنجح في تشليحه انفه . ثم يتطلع صهوة جواده من جديد ، ويلقى آنئذ « وغداً اغرب » فيكسر مقدمة ركبتيه . ثم يدور القتال بينه وبين زوجة الشيطان ، التي « تقطع ذراعيه كلتيهما بأسنانها عند المرفقين » . ويظل يسأل « ان كان لم يزل عدو ثمة فيحاربه » . وتكون النتيجة انه لا يقوى في النهاية على اكثر من ان يحمل سيفه بين اسنانه البالية ، ويلتقي عندها « بوغد يتزيى بالقرمز والرمادي » يقوم

« باعتذار لطيف ولمسة مهذبة
بطعن المحارب واستلال قلبه » .

تبدو هذه القصيدة غريبة لأول وهلة ، وكأنها حكاية عن بسالة خرقاء ليس لها من هدف . الا اني قرأت هذه القصيدة عدداً من المرات في فترة السنوات العشرين الماضية ، وكلما قرأتها من جديد تبين لي ان الكابتن كاربنتر أقل غرابة وشذوذاً مما بدا لي في المرة السابقة ، واكثر شبهاً بخيرة من بيننا . ألسنا ، في كل صراع مرير في الحياة ، نفقد شيئاً صغيراً من ذاتنا الخصوصية ؟ اي منا له من الشجاعة ما يجعله يقف في خاتمة المطاف منتضياً سيفاً بين اسنانه البالية ومنتظراً الوغد الذي لا بد من ان يجيء والذي ينوي ان يستل قلوبنا ؟

ان هذه المجابهة للموت والفناء وجهاً لوجه هي احدى اللحظات التي لا تنقطع عن التكرر في شعر رانسوم من اوله الى آخره . فنحن نقرأ عن امرأة شابة جميلة تقف على شرفة بيتها وترى بين الكروم شيخاً أرمد طاعناً في السن مرتدياً معطفاً ترابي اللون يحاول ان يتلو على مسمعها شيئاً ما. وتصعق: فهي تحس برسالة الموت لكنها لا تستطيع ان تسمعها . الا ان هذا الموضوع ليس ابداً بالموضوع الوحيد الذي يدور حوله شعر رانسوم ، ولو انه قد يكون اقوى مواضيع شعره . فقد نجح رانسوم اكثر مما نجح اي شاعر امريكي آخر في الكتابة عن موضوع « الموت في وسط الحياة » الذي كان متفشياً خلال القرون المتوسطة . وهكذا فان قصائده تبدو مجفلة بنوع خاص في خضم الحياة الامريكية ، حيث تقصى افكار الموت وتستبعد وكأنها افكار بذيئة .

يقف رانسوم كشاعر بعيداً ومنفصلاً بعض الشيء عن بقية شعراء امريكا في القرن العشرين . واذ كان شعره فردياً الى حد كبير ومكتوباً بأسلوب هو اسلوبه الخاص الذي يتميز به ، فانه لم يقم اي مقلد له على الاطلاق تقريباً . لكن هذا لا يعني انه لم يكن ذا اثر مباشر في غيره من الكتاب. فلقد تتلمذ عليه خلال السنين عدد من الكتاب الذين يعدون الآن في زمرة ادباء امريكا ذوي الشهرة والشأن. ولعل ابرز هؤلاء جميعاً هو روبرت لويل ، الذي يتراءى انه في طريقه الآن ليصبح اشهر شاعر حي عندنا .

كان جون كرو رانسوم ذا اثر بالغ كذلك الحال كناقد وكمحرر بث طائفة معينة من الآراء النقدية

عن طريق مجلته . ولا نبالغ اذا قلنـــا ان فكرة دراسة الادب وفهمه برمتها في الولايات المتحدة قد تبدلت وتطورت على يد رانسوم وعلى يد النقـاد الذين نشر هو نتاجهم في مجلة «ذي كنيون ريفيو». فقد كانت دراسة الادب في جامعاتنا ، الى ان جاءت موجة «النقد الجديد» (وهذا تعبير ابتدعه رانسوم واستعمله عنواناً لواحد من كتبه) ، تقوم لحد كبير على درس الحقائق العلمية المتعلقة بأي مؤلف معين ، وعلى المعلومات البيوغرافية او التاريخية او الاجتماعية التي تتعلق بأثر فني ما . غير ان « النقاد الجدد » أصروا على التفحص الدقيق لمـــا تقصد القصيدة (او الرواية او المسرحية) ذاتها ان تعنيه او تقوله . وهذا الاصرار كان باعثاً لتبدل تام في وجهة النظر ، ولنمط من الوعي النقدي جديد كل الجدة في الادب الامريكي .

لم تثر الحركة المسرحية في نيويورك في الموسم الحالي كثيراً من النقاش، ولم تحظ الا بالقليل القليل من الاهتمام . فقد كانت المسرحيات التي عرضت حتى الآن تافهة او مخيبة للآمال . وقـــد كان المسرح الامريكي في السنوات القليلة الاخيرة ، كما ألمحت في رسالتي الماضية لمجـــلة « حوار » (العدد ٥) ، يسيطر عليـه مسرح العبث او اللامعقول بصبغته الامريكية الخاصة ، وأبرز مزاوليـــه جاك غلبر و ادوارد البي .

الا ان مسرحية جديدة ، مثيرة كتمثيليات ذلك المسرح لكنها ذات لون يختلف عنه تمـــاماً ، ستعرض على مسارح نيويورك هذا الشهر . وهي بقلم روبرت لويل نفسه الذي تحدثت عنه قبـــل قليل ، واسمها « المجد الغابر » . وتختلف عن ذلك المسرح في انها مسرحية شعرية قريبة الى التراثية ، وهي تستمد رموزها من مظاهر مختلفة من التاريخ الامريكي وتسعى الى الكشف عن شيء ما في طابع امريكا وشخصيتها . ومع هذا فهي ليست مستقاة من التاريخ الامريكي بشكل مبـــاشر ، لكنها من التاريخ المتخيل كما يشاهد من خلال أعين نثانيـل هوثورن و هيرمان ملفيل . فقد اخـذ لويل ثلاثاً من قصصهم القصيرة القوية والشائكة (اثنتين منها لهوثورن والثالثة لملفيل) ، ونسجها جميعـــاً في مسرحية تتألف من ثلاثة فصول وتحافظ على شكل القصص الجوهري لكنها تعيد تفسيرها من جديد. وتتحدث اولى هذه القصص عن فتى قروي يذهب الى بوسطن إبان حرب الثورة لزيارة احد اقربائه — لكنه يكتشف ان قريبه هذا خائن وانه في تلـك اللحظة بالذات يجري طرده من المدينـة . وتدور الثانية على جالية صغيرة تتألف من عشاق الملذات وطالبيها قامت في ولايات نيو انكلند البيوريتانية لكن سرعان ما أبادها البيوريتانيون المتقشفون . اما الثالثة فهي قصة غريبة تصف قبطاناً اسبانيـاً لسفينة تحمل وسقة من العبيد، يثورون ويفتكون بالبحارة ويأخذون القبطان اسيراً وهم يبحرون بالسفينة على غير هدى من موضع في المحيط الاطلسي الى آخر .

غير ان هذه التلخيصات الوجيزة لا تعطي الا فكرة ناقصة عما تحويه القصص من مادة مسرحية رمزية غنية — وكل ما استطيع ان اقوله في الفسحة المحدودة التي لدي هو ان لويل قد ربط بينها معاً في مسرحية شعرية من المحتمل جـداً ان تشير الى اتجاه جديد امام المسرح الامريكي — بعيـداً عن الهستيريا المغمومة التي ما برحت غالباً ما تتمخطر في الآونة الاخيرة على خشبات مسارحنا .